حكومة أقليم كوردستان . العراق
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة صلاح الدين . أربيل
كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية– الدراسة الصباحية

أدب السّجون في الأندلس – ابن زيدون

أنموذجا

مشروع بحث التخرج مقدّم إلى قسم اللغة العربية – كلية التربية الأساسية– الدراسة الصباحية

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية و آدابها

إعداد

إيمان غفور كريم

ريان مظفر عثمان

إشراف

م.م يادكار أنور توفيق

نيسان–٢٠٢٣

بِـــسْـــمِ اللَّـــهِ الـــرَّحْمـــٰـــنِ

الـــــــرَّحِيـــــــمِ

﴿اقـْـــرَأْ بـِاسْـمِ رَبِّـــكَ

الَّـــــذِي خَـــلَـــقَ ﴾ سورة العلق (١)

الشكر و الثنـاء

- الحمد و الشكر لله الذي وفقنا لإتمام هذا البحث ويسر لنا كل الطرق الممكنة.
- و نشكر أهلنا على مساعدتنا بتوفير كل المتطلبات.
- يشرفنا أن نتقدم باسمى عبارات الشكر و التقدير إلى مشرفنا المكرّم الأستاذ (يادكار أنور توفيق) لإهتمامه بنا و نصائحه القيمة و جعله الله في ميزان حسناته.
- و نشكر كل من ساعدنا في عملنا وله بقليل.

ت	المحتويات	الصفحة
1	المـدخـل	1-2
	التمـهيـد	3-14
2	المحور الأول: مفهوم أدب السّجون في الأدب العربي	3-8
3	مفهوم أدب السّجون	3-6
4	أغراض أدب السّجون	6
5	أغراض شعر السّجون	6-8
6	المحور الثاني حياة ابن زيدون و آثاره الأدبية	9-14
7	حياة ابن زيدون	9-10
8	شعره	11
9	موضوعات شعر ابن زيدون	11-12
10	آثار ابن زيدون	12-14
	المبحث الأول: خصائص المضمون في شعر ابن زيدون	**15-27**
11	المحور الأول: الشعور بالوحدة و خيبة الأمل	16-21
12	المحور الثاني: شعور بوطأة الزمن	22-27
	المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية في شعر ابن زيدون	**28-47**
13	المحور الأول الصورة الشعرية	29-36
14	المحور الثاني الموسيقى	37-43
15	المحور الثالث السرقات الشعرية	44-47
16	النتائج	49-50
17	المصادر و المراجع	51-54

المـدخــل

المدخل:

الحمدلله الذي يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، الذي كتب على عباده الفناء و استأثر بالبقاء، و أصلي و اسلم على خير خلقه و خاتم أنبيائه، حبيب الله محمد المصطفى (صلى الله عليه و سلم)، و على أله و أصحابه اجمعين، أما بعد:

إذا نظرنا إلى التاريخ و دعونا نبحث عنها، فأنّ ظاهرة سجن المثقفين و العلماء ظاهرة قديمة، و جد في كل العصور العربية، و الأجنبية، و من ضمنها أن عصر الأندلس فقد وجدت احداث سياسية و تأريخية خطيرة تمثلت في كثرة الفتن و الثورات و الحروب .

فأدب السّجون نوع من انواع الأدب و نقصد به الأدب المكتوب عندما يكون الكاتب مقيداً في مكان ضد إرادته، مثل السجن أو الإقامة الجبرية، و يمكن أن تكون الأدبيات حول السجن، أو عن مرحلة قبله، او مكتوبة أثناء إقامة الكاتب في السجن و إما أن يكون مذكرات أو قصص أو محض خيال

تمكن أهمية هذا البحث في الكشف عن مضمون أدباءهم، أدب قديم مجدد، عاصرة الكثير من الشعراء، في العصر الجاهلي و الإسلامي مروراً بالعصور اللاحقة، حتى عصرنا هذا، مع تعدد الأسباب.

فلهذا الأدب سمات و خصائص تميزها عن بقية الآداب، بحكم الزمان و المكان الذي قيل فيه هذا الأدب.

ومن اهم المصادر التي استخدمنا في بحثنا(في الأدب الأندلسي، د.جودت الركابي، الذخيرة، ابن بسام الشنتريني، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون ، د.فوزي خضر، ديوان ابن زيدون و رسائله، علي عبدالعظيم).

ومن خلال عملنا واجهتنا بعض الصعوبات و المشكلات ومن أهمها:

- عدم وجود خلفية كافية أو نقص هائل في المعلومات عن الموضوع الذي أخترنا البحث عنه لدينا و افتقارنا للوسائل و الطرق و الاساليب الصحيحة التي تساعدنا على جمع المعلومات بحيث كانت النظرة إلى البحث العلمي نظرة مبهمة فيها نوع من الغموض، بحيث لا نعلم من أين نبدأ.
- قلة المصادر و المراجع التي تتحدث عن خصائص شعر السّجون عند إبن زيدون خصوصاً و أدب السّجون عموماً.

خطة البحث: في بداية البحث(التمهيد) ينقسم إلى محورين، المحور الأول نتحدث عن مفهوم أدب السّجون في الأدب العربي و اغراض أدب السّجون عموماً و أغراض شعر السّجون خصوصاً، وفي المحور الثاني نتحدث عن ابن زيدون من هو ابن زيدون أغراض شعره و نذكر بعض من الآثار الأدبية لابن زيدون

و بعد ذلك مشروعنا ينقسم إلى مبحثين، المبحث الأول نتحدث عن خصائص مضمون شعر السّجون عند ابن زيدون و نتحدث عنه في محورين، في المحور الأول نتحدث عن الشعور بالوحدة و خيبة الأمل بالتفصيل، و في المحور الثاني نتحدث عن الشعور بوطاءة الزمن في شعر السّجون عند ابن زيدون.

وفي المبحث الثاني نتحدث عن الخصائص الأسلوبية في شعر السّجون و تنقسم إلى ثلاثة محاور في المحور الأول نتحدث عن الصورة الشعرية، و في المحور الثاني نتحدث عن الموسيقى، و في المحور الثالث نتحدث عن السرقات الشعرية.

وفي النهاية نتحدث عن خاتمة البحث و أهم النتائج التي توصلنا إليها.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و الحمدلله الذي بنعمه تتم الصالحات، و صلى الله على نبينا محمد و على أله و صحبه وسلم تسليماً كثيراً. (إيمان غفور– ريان مظفر)

التمهيد

المحور الأول: مفهوم أدب السّجون في الأدب العربي

المحور الثاني: حياة ابن زيدون و آثاره الأدبية

المحور الأول:مفهوم الأدب السّجون في الأدب العربي

مفهوم أدب السّجون :

أدب السّجون لم يكتب فى الصالونات المكيفة ، أو في الحياة المرفهة ، أو بين الزهور، و البساتين التي تصدح في سماءها الطيور المغردة ، بل كتب فى أجواء من الألم والأمل ، وفي ظل المعاناة والصبر والتأمل داخل محرقة العدو بين الجدران , ومن خلف القضبان ، وثمة فرقٌ بين من يكتبون في الصالونات ومن يكتبون في المعتقلات ، ففي الحالة الأولى يأتي أدبهم عاديّاً، أمّا في الحالة الثانية، فيضئ أدبهم بإشراقات جمالية، تضفي حياة روحية متوقِّدة، حيث أن المعاناة والألم مصدراً وحاضنة دافئة للعطاء والإبداع، المشع على طريق الحق والخير والجمال، حيث تتفجر الطاقات الإبداعية من خلال ممارسات القمع اليومية للسجان في أقبية السّجون ، التي شكلت تربةً خصبة لتفتُّح هذا الإبداع[١].

فهو ذلك: "الأدب الإنساني النضالي الذي ولد في عتمة و ظلام الأقبية و الزِنازيزن خلف القضبان الحديدية، وخرج من رحك الوجع اليومي و المعاناة النفسية و القهر الذاتي و المعبر عن مرارة التعذيب و الآم التنكيل و هموم الأسير و توقة لنور الحرية و خيوط الشمس، ففي جحيم السجن و دياجير الظلام الدامس يمتشق السجين قلمه ليحاكي واقعة و حياته الجديدة و يغمسه في الوجدان ليصور تجربة الأسر و المعاناة اليومية، ويسطر ملامح الصمود و التحدي و البطولة و معارك الأمعاء الخالية، في نصوص لا أصدق ولا أعذب ولا أجمل منها[٢].

---

[1]أدب السّجون التعريف والمميزات، رأفت الحمدونة،(https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.html

[2] أدب السّجون عند"أيمن العتوم"من خلال روايتيه:"يسمعون حسيسها"و"يا صاحبي السّجن، نوال عبدالدائم، (رسالة ماجستير):١٨

فهو نوع من أنواع الأدب المعنى بتصوير الحياة التي ولد منها، حياة خلف القضبان وفي جحور المعتقلات، يتحدث في الأغلب عن الظلم الذي يتعرض له السجناء، و الأسباب التي أودت بهم هناك، حيث يدون السجناء أنفسهم معاناتهم و كل ما مروا به من أحداث و أزمات داخل أقبيتهم التي تفوح منها رائحة الموت، وهنالك الكثير من الأدباء ممن اجتهدوا فى تعريف أدب السّجون، وجميعها متشابهة في مضمونها وأصولها، ومختلفة قليلاً على الحدود والمساحات، والأجناس و التصنيفات .

الأديب الأسير المحرر د . فايز أبو شمالة عرف أدب السّجون على انه هو كل ما له علاقة بالوجدان والعاطفة الإنسانية والتعبير عن ذلك فنياً، وهذا يشمل القصة والرواية والشعر والخاطرة والأغنية والعمل المسرحي ، ويتكون من شقين ، شق يتعلق بالسجناء أنفسهم، وما كتبوه هم من داخل غرف السجن، وما وثقوه أثناء وجودهم في السجن وحتى بعد خروجهم منه، فالتجربة قائمة، وتنعكس في التعبير لسنوات طويلة الأمد، وشق يتعلق بما عبر عنه الأدباء خارج السجن، ولاسيما أولئك الذين تخيلوا حياة السجن، واستمعوا لها، وعاشوا بوجدانهم تجربة السجناء، وراحوا يعبرون عنها بصياغتهم الخاصة، وأسلوبهم القادر على تصور حياة السجن، والتعبير عنها بشكل فني[٣].

والأديب والروائى الأسير المحرر وليد الهودلى عرف أدب السّجون بما يكتبه الأسرى فى داخل الأسر ، أو ما كتبه الأسرى من مذكرات بعد التحرر، أو ما كتب عنهم وعن السّجون من غيرهم ، فى مجالات الرواية ، والقصة ، والشعر ، والمسرحية ، والخاطرة ، وألوان الأدب الأخرى ، ولا يشمل أدب السّجون إنتاجات الأسرى من الدراسات والأبحاث والكتب فى مجالات من غير الإنتاج الأدبي.

[3] أدب السّجون التعريف والمميزات، (https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.html

ويرى الّدكتور "رأفت حمدونة" أنّ أدب السّجون هو: " أدب مقاومة وهو جزء من الأدب العربي المعاصر، والأدب الوطني والقومي، والأدب العربي والعالمي الحديث،... وهوكل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه بشرط أن يكون من أجناس الأدب[٤] .

اغراض أدب السّجون :

(العتاب ،الاستعطاف ،حب الاهل والاولاد، لوعة حب والمحبوب، شوق الوطن، الإستغاثة، ذكر الماضي وحياة الترف، ذكر الموت، الأمل والياس ،الشكوى، التحدي والبطولة، الصبر، المناجاة، ذكر الآلام والمصائب والمحنة، الخوف، البكاء....)

أغراض شعر السّجون :

الوصف:

الوصف هو مظهر من مظاهر الصدق فى شعر الّسجن، أن الشاعر السجين لا يريد بيان مهارة الفن بل ينقلون آلامهم من السجن إلى خارجه، يتحرى نقل الحقيقة من خلال الشعور و المعاناة نقلاً واقعياً فى تصوير معبر، فجاءالوصف مباشرة صريحة فى مشاهده و ألفاظه، و أضيف إليه قوة الشعور و الإحساس بالواقع، ُككل ذالك جعل المعطيات الحبس العارية صوراً معبةً قادرةً على الإيحاء بأجواء الّسجن الموحشة و يعالم الّسجناء الغريب، قدمها لنا الشعراء المساجين من خلال أدبهم.

[٤] أدب السّجون التعريف والمميزات، https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.html ، ٢٠١٦)

عبد الملك بن إدريس الجزيرى[5]* كان من الشعراء الّسجناء الذين ماتوا خلف قضبان الّسجن وكانوا مكثواُ مدةً طويلةً أو قصيرةً في غياهب السّجون و خلف أبواب السودآء.

عبد الملك بن إدريس وصف بشعره الطريقة التّي حمل بها إلى المعتقل و وصف معتقله أيضاً، قالُ حملت إلى طرطوشة على القتب فبقيُت هناك معتقلاً فى برج من أبراجها و نئيت المنتهى كأنَّا أُناجى السها[6]*. لأن سجنه كان على مرتفع شديد الإرتفاع على قأمة الجبل.

أنشد الشاعر المحبوس عبدالملك بن إدريس[7]:

يأوي إليه كُلُّ أعور ناعقٍ وتهب فيه كُلُّ ريحٍ صرْصرٍ

و يكاُد من يرقى إليه مرةً من عمره يشكو انقطاع البِهر

الهجاء:

تعرف أن الّسجين و الكبل موضع التذليل و الهون و التحقير، و يرجون السجنآء و يأملون أنُ يخلَوا سبيلهم ُ يخرجوا من ديار الهوان و الظلمات. فالسجناء كانوا يرسلون الرسائل و القصائد إلى أميرهم لأترٌ حم و الإستعطاف،فلذا لا نشاهد لون الهجاء فى شعر الِسر و الّسجن فى الأندلس إلا قليلا.

من شعراء الأندلس يوسف بن هارون الرمادٌ ي إنتقد الخليفة الحكم المستنصر و هجاه فحكم الخليفة عليه بالّسجن.كما قال[8] :

يُوتى و يعزل من يومه فلا ذا يتُّم و لا ذا يَت

---

[5] *عبدالملك بن إدريس الجزيرى، مدح المنصور بن أبى عامر بشعره و بعده مدح ابنه عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر، و كان عبد الملك بن إدريس وزير المظفر بن المنصور و من زعماءه أيضاً و مع هذا له يدٌ و دورٌ هامٌ فى دولة المظفر، فلمَّا قُتل المظفر فجلس على سرير دولته عيسى بن القطاع و أخذ زمام الدولة و صار يسجن الَّذى كانوا لهم صلة بالمظفر أو كانوا من وزرائهم أو من أصدقائهم ، فأخذ عبد الملك بن إدريس و سجن طرطوشة

[6] *السها: هو كُويكب صغيرٌ و خفيٌ و النَّاس يمتحنون به أبصارهم.

[7] 181 :مطمح الانفس و مسرح التناس في ملح أهل الأندلس، محمد علي شوابكة

[8] 372 :جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح

المدح:

من اعلام الشعراء الأندلس ابن زيدون أرسل القصائد من السجن إلى أبى الحزم، الغرض الرئيس فى سجنياته هو الإستعطاف و الإسترحام، يقول[9]:

يغشى التجارب كلهلهم مستغنياً بقريحة هى حسبه تجريباً

و إذا دعوت وليدهم لعظيمة. لباك رقراق السماح أديبا

يوسف بن هارون الرمادي أنشد فى سجنه عدة قصائد شعرية سماها "كتاب الطير" و وصف فى هذه القصائد كل طائر معروف بخواصهُ ثم لحق بها قطعة شعره فى مدح هشام بن الحكم مستشفعاً به إلى أبيه المستنصر في إطلاق سراحه و الخروج من الإغلال و القيود، فقال[10] :

عليَّ كِبرى تهمى السحابُ وتدّرف ومن جزعي تبكى الحمام وتهتف

كأن السحاب الواكفاتُ غواسلي وتلك على فقدى نوائحُ هتّف

الغزل و الّشوق:

للغزل نصيب وافر من قصائد الشعر التّي عبروا بها عن ضمائرهم و أرسلوا القصائد الغزلية و الرسائل من الّسجن إلى الإحبّاء و الإصدقاء. فمن الشعراء الذين تشّوقوا و تغزلوا إلى أحبتهم الشاعر محمد بن مسعود البجاني الذي أرسل قصيدةً رباعيّةً إلى حبيبٍ و قريب إلى قلبه فقال[11]:

يحنُّ عند مقاساة البلاء به قلبى إليك حنين الهيم و النّيب

و لو توسد اطباق الثرى جسدى ناداك قلبي بترجيع و تتوي

---

[9] :148 ديوان ابن زيدون،د.يوسف عرفات

[10] :320 المطمح الأنفس

[11] :353 :1،الذخيرة، ابن بسام الشنتريني

المحور الثاني: ابن زيدون و آثاره الأدبية

حياة ابن زيدون:

هو ابن الوليد احمد بن عبدالله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي ولد في سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٣م) وهو من أبناء وجوه الفقهاء فقد كان والده من هيئة الفقهاء المشاورين لعهد خليفة المستعين وكان جده لأمه صاحب الأحكام بقرطبة فهو من بيت حسب و نسب و ثراء[١٢].

و كان ابوه قاضياً في قرطبة وجيها ثريا غزير العلم و الادب، ويذكر المؤرخون أنه توفي بإلبيرة، بالقرب من غرناطة، وهو متوجه اليها لتفقد بعض ضياعه. و حمل إلى قرطبة فدفن فيها، فرثاه صديقه الشاعر القرطبي أبو بكر بن عبادة بن ماء السماء فقال:[١٣]

أيّ رُكن من الرياسة هيضا و جموم من المكارم غيضا

حملوه من بلدة نحو أخرى كى يوافوا به ثراه الأريضا

مثل حمل السحاب ماءً طبيبا ليداوى به مكانا مريضا[١٤]

ولم يذكر ابن زيدون أباه في ديوانه إلا مرة واحدة حيث يقول في قصيدته الطائية التي يخاطب بها بعد فراره من السجن أستاذه الأديب أبا بكر بن مسلم مستهضاً همته للشفاعة:

عليك أبا بكر بكرت بهمة لها الخطر العالى و إن نالها حط

ابي بعد ما هيل التراب على أبي ورهطى فذاحين لم يبق لي رهط[١٥]

---

[12] عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون ، د.فوزي خضر: ١٣

[13] في الأدب الأنداسي ،د.جودت الركابي:١٦٣

[14] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،التلمساني، ج٥: ١٦٨

[15] ديوان ابن زيدون و رسائله، علي عبدالعظيم:٢٨٥

وكانت وفاة والده سنة ٤٠٥هـ و ولادته سنة ٣٠٤هـ، أما أمه فقد ذكرها ابن زيدون مرتين في آثاره، الأولى عند ما زارته في السجن فبكت فقال قصيدته[١٦]:

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي

و يطلب ثأرى البرق منصلت النصل[١٧]

و الثانية في رسالته إلى أستاذه أبي بكر بن مسلم التي يقول فيها:(وقد هجرت الأرض التي هي ظئرى، و الدار التي كانت مهدى، و غبت عن أم أنا واحدها، تمتد أنفسها شوقا إلى، وتغض،أجفانها حزنا على.....) و يظهر أنه كان يحبها حبا جما، ولا تفيدنا المصادر عن تاريخ وفاتها و لكننا نعلم أنها كان ما تزال حية عند خروجه من السجن سنة٤٣٣هـ[١٨]

بعد أن هرب ابن زيدون من السجن اتصل بوالي إشبيلية المعتضد، فعاش في كنفه، وولاه وزارة وفوض إليه شؤون مملكته، وظل في بلاطه في إشبيلية معززاً مكرماً حتى توفي المعتضد وتولى ابنه المعتمد على الله الحكم، فظل إلى جانبه ومات في أيام حكمه في صدر رجب سنة ثلاث وستين وأربعمئة بمدينة إشبيلية ودفن بها، وقال ابن بشكوال[١٩]* توفي سنة خمس وأربع مائة، وكانت وفاته بالبيرة وسيق إلى قرطبة ود فن بها رحمه الله[٢٠]

---

[16] في الأدب الأندلسي: 164

[17] ديوان ابن زيدون و رسائله:٢٦١

[18] في الأدب الأندلسي:164

[19]* ابن بشكوال: ابو القاسم خلف الأنصاري الخزرجي بن عبد الملك الأندلسي القرطبي قاضي ومؤرخ أندلسي ولد في يوم الاثنين ٣ ذو الحجة ٤٩٤ هـ وتوفي في ليلة الأربعاء ٨ رمضان ٥٧٨ هـ،عاش في قرطبة وتوفى فيها. له أكثر من خمسين مؤلفاً من أشهرها كتاب الصلة الذي جمع فيه تراجم لأعيان الأندلس مرتباً أسمائهم ترتيباً أبجدياً.

[20] ملامح الإبداع في الشعر الأندلسي، قصيدة ابن زيدون أضحى التنائي بديلا من تدانينا، نموذجا، أحمد سعيد، مجلة جامعة طيبة للآداب و العلوم الإنسانية، العدد 9، المجلد5: 676-680 و ديوان ابن زيدون: 16

شعره:

يعد ابن زيدون من أهم شعراء ملوك الطوائف، صياغة للشعر، حيث كان هناك تياران قويان في هذه الفترة. أحدهما منهجي(كلاسيكي)يتمسك بالاساليب المعروفة والتقاليد الأدبية المطروقة منذ العصر الجاهلي، والتجديد فيه مقصور على المعاني الفكرية والخطرات النفسية وتصوير المظاهر الحضارية التي لا يمكن للعرب بها عهد من قبل، والتيار الثاني إبداعي(رومانسي) يحاول التحرر من الاوضاع والتقاليد المأثورة، وقد نجح في التحرر من الأوازن والقوافي القديمة في فن المو شحات، كما حاول الانفلات من قيود الفصحى والإعراب في فن الأزجال[٢١].

يمتاز شعر ابن زيدون بشكل عام بالمبالغة بهدف التأثير في السامع لتحريك مشاعره، كما يظهرفي شعره تأثره بالقديم بالرغم من أنّه عاش في بيئة تختلف عن تلك التي عاش فيها المشارقة، وقد سمي ابن زيدون كما قلنا ببحتري المغرب لسببين، أولهما طول النفس، فقد جاءت قصائده في المدح والغزل طويلةً، وثانيهما كثرة الزخارف الشعرية والصور البيانية والمحسنات البديعية، فجاء شعره شبيهاً بشعر البحتري، ورغم تأثر ابن زيدون بالمشارقة إلا أنّه ظل محتفظاً بشخصيته المميزة في شعره واهتمامه بإبراز ذاته في أعماله الشعرية[٢٢]

موضوعات شعر ابن زيدون:

ترك ابن زيدون وراءه ديوان شعري يتضمن مجموعة مدائح كثيرة لأبي الحزم بن جهور و ابي وليد وفي المعتضد و ابنه المعتمد، كما مدح بعض أمراء الطوائف، وله رثاء في ابي حزم بن جهور و في المعتضد و بعض أبناء خاصة . وهو يستهل مدائحه غالبا على طريقة القدماء و اما مراثية فيبدأها بذكر فداحة المصاب أو بحكمة تناول ذكر الدهر و غدره . ولا نجدفي مدح ابن زيدون و رثائه تجديدا فعليا ، بل نراه يتناول المعاني

[21] بناء القصيدة الغزلية الأندلسية عصر ملوك الطوائف(نونية إبن زيدون)أنموذجا، زليخة دقيش، رسالة ماجستير: ٢٤

[22] ديوان ابن زيدون:١٦-١٧

الشائعة عند القدماء كذكر الكرم و الشجاعة و التقوى و سائر المعاني التي لم يبلغ بها شأو المشارقة . وفي تقليد القدامى عمد أحيانا إلى المبالغة المعنوية و اللفظية ، حتى إنه يغالي في بعض أقواله فيصل حد النفور[٢٣]

اشتهر ابن زيدون بحبه ولادة تلك المرأة التي أسرت قلبه فكانت مصدر أفراحه الأمه وقد نشأت ولادة في أفياء العزة والملك وترعرعت محاطة برعاية ملحوظة من الأبوين وفرت لها قسطًا وافيًا من الآداب والفنون، وكانت تعقد في دارها صالونًا للشعراء والكتّاب ولكنه لم نجد آثارًا في ولادة لهؤلاء الشعراء والكتّاب فإنه وحده الذي قال فيها وأكثر القول (وليست قصة حب ابن زيدون صاحبته – ولادة وما اهتزت به شاعرية هذا الشاعر الأندلسي الكبير – بالقصة التي ينظر إليها على أنها قصة حب فردية خاصة لأنها إنما تمثل في معناها العام هذه التجربة الإنسانية بكل ما جاشت به مشاعر الإنسان في أحوال الحب المختلفة وقد كان حبه ولادة حبًا قويًا عميقًا ألهب نفسه إلهابًا وأكسبها شاعرية خصبة ففاضت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب الغزل ما شاء لها أن تبدع فباحت قصائده بكثير من الحالات التي يمر بها العاشق من شكوى وحنين وعتاب وهجر و غير ذلك.[٢٤]

آثار ابن زيدون :

لقد ترك لنا ابن زيدون مجموعة من الموضوعات الشعرية وأيضا الروائع التي أصبحت زيادة في كنوز الشعر والأدب العربين على سبيل المثال أولا نونية ابن زيدون وهي منتج شهير لابن زيدون الذي كتب هذه القصيدة لولادة بعد هروبه من السجن وأرسلها إليها يرجوها أن تحفظ الود وتظل عل العهد، فتذكر أيام الوصال بينهما وتحسر عليها، وقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة ألفاظاً معبرة عن حبه وعاطفته النبيلة، كما اختار

[23] ديوان ابن زيدون:16

[24] عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون :16-17

الصور البيانية بمهارة لتعبر عن الأحوال النفسية التي عاشها، واستخدم فيها محسنات اللفظ والمعنى بكل إبداع فجاءت مناسبةً لعواطفه وأحاسيسه.

وايضا من اثار ابن زيدون (الرسالة الهزلية) طبعت هذه الرسالة لأول مرة مع ترجمة لاتينية سنة ١٧٥٥م في مدينة ليبسك من قبل المستشرق رايسك، وطبعها المستشرق هيرت مرة ثانية في إبينا سنة ١٧٧٠م وقد شرحها ابن نباتة المتوفى سنة ٧٦٨هـ /١٣٦٦م و طبعت في القاهرة سنة ١٢٧٨هـ تحت عنوان (سرح العيون في شعر رسالة ابن زيدون)و لهذا الشرح عدة مخطوطات موزعة في المكتبات الأوروبية[٢٥]

وقد ذكرنا أن ابن زيدون كتب هذه الرسالة على لسان ولادة لمنافسه ابن عبدوس يهزأ به، وقد جاءت رسالة طريفة جمعت بين أفانين الهكم و ضروب المعرفة، وساق فيها طائفة من الأمثال و الأبيات المنثورة من الشعر، وذكر فيها الكثير من الأحداث و الأعلام و أسماء الرجال وهناك نوع اخر ايضا (الرسالة الجدية)لهذه الرسالة عدة مخطوطات ايضا موزعة في المكتبات الاوروبية و في مكتبات القاهرة و الموصل . وقد شرحها الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ، في كتاب سماه (تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون)و لها شرح ثان طبعه مصطفى عناني بالقاهرة سنة ١٩٠٦م في كتاب سماه(إظهار المكنون من الرسالة الجدية لإبن زيدون) و طبعت ايضا بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٩م بعنوان (الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون)، كما طبعت في بغداد سنة ١٣٢٧هـ.

وقد مر بنا أن ابن زيدون قد كتب هذه الرسالة و هو في السجن، يستعطف بها ابا الحزم بن جهور ليعيد إليه حريته، وهي لا تقل جمالا عن سابقها، نلمح خلال سطورها الانفعال و القلق و الرسالة مفعمة كسابقها

[25] في الأدب الأندلسي:189

بذكر الأحداث و الاعلام التاريخية ، وهي تزخر بالأمثال و نثر الشعر القديم و اقتباسات من القرآن الكريم و تضمينات من الحديث[٢٦].

المبحث الأول : خصائص المضمون في شعر ابن زيدون

[26] : في الأدب الأندلسي:189-190

المحور الأول: الصورة الشعرية

المحور الثاني: شعور بوطاءة الزمن

المبحث الأول: خصائص المضمون في شعر ابن زيدون

المحور الأول: الشعور بالوحدة و خيبة الأمل

لقد عاش الشاعر في السجن دنيا جديدة، مشحونة بالآلام و الجروح لعظم المصيبة التي نزلت به، إذ هيمنت الوحدة على حياته فيه، و أخذ الشعور بالغربة بخناقه، فجعله يعيش تجربة فيها نفسه كشيء غريب، فقد ذاته و اكتسب ذاتا غريبة عنه و مع هذا الانكسار الوجودي نجده قد التحف الخيبة و اليأس من الحياة و هو لا يتبين صورة لذاته إلا بملامح الفشل، و صدق الفيلسوف فروم حين قال : "التغرب من النفس هو الفشل في أن يكون الإنسان النفس كما يجب أن يكون عليه[٢٧]

و أعماق الشاعر – و هو في السجن – هي مشاعر غربة فيها من القلق و الحيرة و التمزق ما يستوعب أبعاد الذات العميقة، و فيها من الحكمة و البصيرة، ما يستقطب الحقيقة و الكمال عبر مسيرة معاناته و فيها من الأنفة و العزة ما يحول الألم إلى نشوة و غبطة، و هي أحوال مختلفة ظهر عليها بصورة متفاوتة، و في كل صورة ظهر عليها، إلا تجلى عدم توازن القوى النفسية عنده، غدته بصورة أساسية الوحدة و خيبة الأمل في الحياة.[٢٨]

إن الإحساس بالوحدة هو وجه من وجوه اغتراب الشاعر، لأنه يحس فيها بوجوده وقد أخذ منه، لذا حاول أن يتجاوز هذه الغربة النفسية و الجسدية بأن يتخذ من الوحدة نفسها قلعة يطل منها على العالم الذي يريد أن يتجاوزه إلى عالم أرحب من صنع خياله الشعري. ففي سجنه حيث أجلس ذاته الكسيرة ليلتمس منها السلو و المؤانسة عاش صراعا نفسيا حادا[٢٩].

إنه سجن مرير اختفت فيه معالم الحياة، مادام من يدخله يشعر بأنه في مأتم مما يفسر أن السجن لا يمكن أن يكون إلا داء و شرا و بلاء على المرء فهو عالم مناقض لأحلامه و طموحاته خاصة و أنه كان

---

[27] الزمن في الأدب: هانز ميرهوف، ترجمة أسعد زروق: 73

[28] أدب السجون، أحمد بهاء الدين شعبان : ٣٥

[29] المكان في الرواية العربية، الصورة و الدلالة: ٤٦

ينشد سعادة وطمأنينة في حياة البلاط، قد حرم هو نفسه أسبابها بارتكابه الخطأ الذي أدخله السجن، أو بما لفق له من اهتمام .

إنه الشعور بنوع من الاغتراب النفسي أوجدته طبيعة المكان، و زادت في احتدامه في نفسه الوحدة، مما ساعد على شبوب عواطفه احتدام شعوره.

لقد هيمن التبرم على نفسه، و مزق قلبه و هو يرى حياته تضيع في ظلام السجن، و هو شعور كان سائدا عنده نتيجة حرمانه أسباب السعادة. كيف لا و هو قد رأى أحلامه و طموحاته تطفو فوق تلك الظلمات[٣٠].

لقد مال بعضهم كالمصحفي[٣١]* و ابن عمار[٣٢]* إلى اجترار النفس، و تأمل أوضاعها في السجن بأسلوب مأساوي حزين، فلم يستطيعا أن يتساميا على الشقاء و التعاسة – شأن بعض الشعراء السجناء فراحا ضحية هواجس سوداء و ضحية رد فعل سلبي من الأمير خنقت حياتهما فانتهيا بالموت في السجن

و لشدة شعور الشاعر السجين بالعزلة و الجفوة من سواد الناس – خاصة الأحباب – انطوى على نفسه، و استغرق في التفكير في ذاته، و هي تعاني الخوف و الأسى، و الشكوى من حساده.[٣٣]

و نلمس ذلك في قول الشاعر ابن زيدون من الرسالة الجدية التي كتبها إلى أبي الحزم بن جهور إذ قال[٣٤]:

---

[30] الزمن في الأدب: 16

[31]* المصحفي: جعفر بن عثمان بن نصرأبو الحسنالحاجب المعروف بالمصحفي.وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب، وله شعر كثير جيد، أصله من بربر بلنسية وفي ١٣ شعبان ٣٦٧ هـ، كانت نكبة جعفر المصحفي بعد أن أصدر الخليفة هشام المؤيد بالله مرسومًا بإقالة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، وسجنه هو وأبنائه وأقاربه ومصادرة أموالهم.أن مات مسمومًا وقيل مخنوقًا في محبسه عام ٣٧٢ هـ .

[32] *ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار(٤٢٢هـ–٤٧٧هـ) شاعر وسياسي أندلسي، كان وزيرًا وسفيرًا للمعتمد بن عباد حاكم إشبيلية، ثم خرج عليه واستقل بحكم مرسية عام ٤٧١ هـ إلى أن انتزعها منه عبد الرحمن بن رشيق عام ٤٧٤ هـ.

[33] الزمن في الأدب:33

[34] ديوان ابن زيدون و رسائله / علي عبدالعظيم, ص ٦٨٢–٦٩٥)

كل المصائب قد تمر على الفتى *** و تهون غير شماتة الحساد

و قوله :[٣٥]

و حسبك من حادث بامرئ *** ترى حاسديه له راحمينا

لقد كان الشاعر أسير سجنين، سجن المكان المنزوي في ظلامه و سجن الوحشة. و من هنا فقد كانت غربته غربة مزدوجة، عانى فيها الوحدة و خيانة الأصحاب و عذر الزمن و جسدت في نفسه المرارة بكل أبعادها المأساوية.

و من ثمة، فإن الشعور بألم الغير و معايشته بعمق و حرقة، هو في الحقيقة قيد آخر، لا يملك الشاعر القدرة على كسره، و هو يعض في شخصه – فكرا و عاطفة – عض قيد الجسد أو أكثر، مما يزيد في توهج معاناته، لقد كان حزن الشاعر السجين عميقا خافتا مستوليا على نفسه كلما ازدادت وحدته لوعة و وحشة، و حزنه هذا لم يكن حزنا رومانسيا، بل هو حزن النفس لذاتها و على ذاتها و قد استفرغت من كل ما كانت تملكه من مباهج الحياة، و استبدلت بها موتا بطيئا. هو حزن الفشل أيضا و الشعور بالخيبة من الحياة و العباد.[٣٦]

و قد يتفاقم إحساس الشاعر باللوعة و الأسى في سجنه، إلى درجة أن يستحيل شبابه – القائم في تلك اللحظة الموحشة – إلى الشعور بشيخوخة قابعة في قاع قلب ،فابن زيدون – قد عبر عن هذا الإحساس بقوله[٣٧]:

لم تطو برد شبابي كبرة *** و أرى برق المشيب اعتلى في عارض الشعر

---

[35] م. ن : ص٧٣

[36] المكان في الرواية العربية، الصورة و الدلالة: ٤٦

[37] ديوان ابن زيدون و رسائله :علي عبدالعظيم, ٢٥٣

قبل الثلاثين، إذ عهد الصبا كثب !! *** و للشبيبة غصن غير مهتصر

ها إنها لوعة في الصدر قادحة *** نار الأسى مشيبي طائر الشرر

و بعد فراره من السجن، صور أحداث حياته في السجن و شعوره بالهرم فقال

هرمت و ما للشيب و خط بمفرقي *** و لكن لشيب الهم في كبدي و خط

و طاول سوء الحال نفسي فأذكرت *** من الروضة الغناء طاولها القحط

لقد شعر بالضعف و هو في السجن إلى درجة شعوره أن الشيب قد لحق قلبه و إن لم يلحق بشعره، لقد استقرت المصائب في وحدته و عكست ما ضاع من الماضي. فالروض الغناء طال عليه القحط حيث طال قيده في السجن إلى خمسمائة يوم، لقد عبر عن عمق و شدة تأسيه في السجن بقوله مئين من الأيام لما في ذلك من تجسيد لطول المعاناة.

إنها صور مليئة بالحركة النفسية يتواصل فيها السريان من العالم الخارجي الممزوج بين الماضي و الحاضر إلى داخل النفس المحزونة في طبقات من الصور الجزئية، يتلاحم بعضها مع بعض لتكون صورة مؤثرة، تضاف لها من جهة أخرى صورة الشاعر المتفرد في الوسط المكاني الضيق و الاستمرار المتوالي في الزمن لعملية التوقع و الانتظار، و بين وحدته و حديثه مع نفسه، يعود التفرد و يظل حزنه فريدا نحس فيه التمزق الذي كان يعانيه الشاعر السجين، و ليس عبيدا، أن يكون الشاعر في مثل هذه الوحدة على شدة محنته و عظم نكبته، قد أسر في نفسه رجاء من الله، حاول به الانعتاق من حالتي الانطواء و الفراغ النفسي، بالتعلق بما أبدي عن طريق الشكوى الله و مناجاته طلبا الرحمة[٣٨].

و ابن زيدون يستجمع قوته النفسية في وحدته يستمسك بالصبر إذ قال:[٣٩]

---

[38] أدب السجون، أحمد بهاء الدين شعبان:٢٧

[39] : ديوان ابن زيدون و رسائله: ٢٦٤

و الله فينا علم غيب و حسبنا *** به – عند حور الدهر – من حكم عدل

و إن رجائي في الهمام ابن جهور *** لمستحكم الأسباب مستحصد الحبل

إنه يأمل الفرج، في أن الملك يصفح و هو القادر على العقاب و يسدي إليه يدا كريمة فلله تعال حكمة فيما يقضيه من أحداث قد يتكشف غيبها عن خير عميم، لذا فالشاعر يحتسب عدالته و أنصافه إذا ما جار عليه الدهر وعضه بنابه. إنه نوع من التسامي، رفعه عن السقوط في هاوية الانحطاط إلى ما تحت ذاته الإنسانية، و هو توجه يمثل – بصورة ما – اعترافا بانكسار نفسه و عجزه، كما يعكس وجها خفيا لمرارة تعتصر حسرة على ما آل إليه من ضعف و تمزق. لقد عاش الشاعر السجين وحدة مؤلمة، لم يجد تحمل أذى السجن، محتميا من الآلام بينابيع التجلد، فالصبر عنده مفتاح القوة و البسلم الشافي لكلوم نفسه السجينة، فهو يذكر نفسه به كلما حلقت به رياح اليأس بعيدا بين أفلاك الحزن و التشاؤم.

و لطالما حاول الشاعر، التخفيف من وطأة مرارة السجن على نفسه و التخلص من وحشية تلك الوحدة باستحضار صورة الأصدقاء و الخلان، للمؤانسة و محاولة معايشة من جديد تلك الأيام الماضية معهم، بالوجدان و الفكر و الخيال كتعويض عن الفراغ الذي يشعر به في وحدته، و تكسير صمت و تلك الوحدة و سكونها فقد ناجي أحبابه حتى لا يبقى وحيدا في وحدته، و الملاحظ على شعر السّجون أنه كثيرا ما كان يقوم على المراسلة الشعرية بين الشاعر السجين و الأمير أو الصاحب و الصديق. فالنوع الأول من الرسائل الشعرية – و التي كانت ترسل و تبعث إلى الملوك و الأمراء و ذوي السلطة و النفوذ – تدور دائما حول الاعتذار، أما النوع الثاني من تلك الرسائل الشعرية، فكانت بين الشاعر السجين و الصاحب الصديق الوفي،

و تعد هذه الأخيرة وسيلة ترفيه و مؤانسة تخفف من وحشة الوحدة وحدتها و تعيد للشاعر السجين بعضا من معالم الحياة.[٤٠]

لقد كان الشاعر السجين يجد في مثل هذه الزيارات و المراسلات و المسارة الوجدانية، راحة نفسية تخلق له عالما من الطمأنينة ينعتق فيه من عالم قيود الوحدة و وحشتها.

و أكثر ما كانت تتمكن الوحدة من نفس الشاعر بقدوم الليل، ذلك لأن الليل يحيل الأشياء في ذهنه إلى أطياف و أشباح، يزيل حقيقتها، ثم يأتي الظلام فيطمسها فتثار كوامن نفسه في حزن و أسى فيشعره بخيبة الأمل، و فشله في الحياة.

و باعتبار الليل مظهرا من مظاهر الوحدة، فقد كان يناجيه، و يذوب في قلب معالمه فيفيض عليه، و يفيد منه في التعبير عن كآبة نفسه و همومه و معاناته و حسرته على ما آلأ إليه مصيره المحزن.

فابن زيدون يعاتب الليل بنجومه على عدم مقاسمتها لآلامه بالبكاء على حاله حتى تخفف عنه المعاناة، لكنها لم تحرك ساكنا، فزادته بثباتها السلبي شعورا بالوحدة و الخيبة إذ قال[٤١]:

وهلا أقامت أنجم الليل مأتما *** لتندب في الآفاق ما ضاع من نبلي !
لو أنصفتني – و هي أشكال همتي – *** لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي
لعمر الليالي إن يكن طال نزعها *** لقد قرطست بالنبل في موضع النبل
تحلت بآدابي، و إن مآربي *** لسانحة في عرض أمينة عطل

المحور الثاني: شعور بوطاءة الزمن

إن الزمن عنصر هام، و لا بد منه لمعرفة شخصية الشاعر، و تصوير بنيته النفسية.

---

[40] أدب السجون، أحمد بهاء الدين شعبان: ٣٨

[41] ديوان ابن زيدون و رسائله: ٢٦٢

" فالزمن بصورة دقيقة جامع للحياة فهو أكثر حضورا من المكان[٤٢]" ، إذ نرى هذا الأخير يكون إلا بفعل زمني "و هو و عي مباشر بالخبرة، ينتمي إلى التتابع و السيولة و التغير، إذ لا خبرة إلا و الدليل الزماني كان سيمتها"[٤٣]و للزمن مغزى خاص بالنسبة إلى الإنسان، لأنه لا ينفصل عن مفهوم الذات "إذ لا تحصل خبرة الذات أو معرفته إلا من خلال تتابع اللحظات الزمانية و التغيرات التي تشكل سيرته[٤٤]

و في اعتقادنا أن الفيلسوف بروست محق في اعتباره أن الزمن متعلق بالذات، يسير معها في ديمومة، "تمدده الانفعالات في شعورنا، لأن انفعالاتنا هي التي تنسج لنا الإحساس بوجود الزمن"[٤٥]

بينما يعتقد الفيلسوف توماس مان " أن الزوالية هي التي تخلق الزمن، أي أنه يسير باتجاه التطور الخلاق الذي من خلاله تتولد الأشياء في الخبرة [٤٦]و هو على حد قول برجسون "معطى مباشر في وجداننا[٤٧]"

و نفهم من ذلك أن الذات لا تشعر بوجودها إلا من خلال قابليتها للفناء و التلف من أجل نمو و خلق جديدين، و هذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد أن الزمن مهما صعب تجسيده في صورة محسوسة، تقرب مفهومه إلى ذهن المتلقي بوضوح، فإنه لا يأخذ منحى واحدا سواء أ كان منحى الشعورية عند بروست أو منحى الزوالية عند توماس مان. فالزمن صورة لحقيقة ذات وجهين لا يمكن الفصل بينهما، فهو الولادة التي تحدث في رحم التلاشي، و هو الزوال الذي يحدث في رحم الولادة في لحظة واحدة، فالزمن هو ذلك الاستمرار الشعوري المتجدد الذي يوجد اللحظات و التي تظهر فيما يكتسبه المرء من خبرات. فالزمن ليس مجردا، إنه يحرك و

---

[42] الزمن في الأدب:٧
[43] م.ن:7
[44] م.ن:7
[45] م.ن:20
[46] م.ن: 76
[47] م.ن: 11-12

يوجد الأشياء، و في نفس الوقت يموت و يولد فتنسى اللحظات الزمنية التي تلاشت "و بتلاشيها أوجدت الخبرة أو الحدث أو الشيء[٤٨]

إذن جوهر الذات هو "ذاك الزمن الضائع الذي يولد في اللحظة التي يموت فيها. و بهذا الاطراد تخلق الاستمرارية في الزمن، و هذا ما يفسر لنا امتلاء الشعور بالوجود في حال الحاضر"[٤٩].

و عليه يبدو الفيلسوف توماس مان محقا حين صور الزمن قائلا : "حين يبدو لك طويلا، فهو عندئذ طويل و حين يبدو قصيرا فهو بالطبع قصير، لكن كم هو طويل أو كم هو قصير في الواقع، هذا ما لا يعرفه إنسان[٥٠]. و انطلاقا مما ذكر عن الزمن، لنا أن نعتقد أن الإحساس بالضياع هو الزمن الذي نحسبه و لا نستطيع معرفته بدقة متناهية، لأنه شيء كامن في ضياع و كأننا لا نملكه ماديا لذلك لا نستطيع أن نضع عليه أصابعنا الفكرية و لأنه كما اعتقد أرسطو "متعلق بالاعتقاد بتحقيق الآمال و و من ثم فما الإنسان سوى نتيجة التتابع الزمني و التغير و باختلافه الأماني بفرصة الخلق[٥١]."

دوما من لحظة إلى أخرى يؤكد أن ثمة شيء يستمر و يتجدد عبر مجرى شعور الفرد المتغير باستمرار، إنه حادث دائم مستمر فيه "يشمل على عناصر من الذاكرة و التوقع، و هي عناصر تشير نحو الماضي و المستقبل، فتكون ذاك الامتداد و الاستمرار في الفرد[٥٢].

---

48 الزمن في الأدب:١٩

49 الزمان الوجودي، عبد الرحمان بدوي: ٢٤٩

50 الزمن في الأدب: ١٩

51 م.ن: ٧٦

52 الزمن في الأدب: 76

"و الزمن الذي نحن بصدد التركيز عليه و هو الزمن النفسي – و ليس الفزيائي – "المرتبط بالقلق، القائم في الآن الحاضر، و الذي يثير فينا الشعور بالعدم، و هو الشعور بالسرمدية حين يتوقف الزمن المتحرك و لا يبقى إلا العدم[٥٣]."

و باعتبار الشاعر رجل ذو طبيعة روحية و مزاج تأملي يعكس شعوره بالضياع – و هو في السجن – نجده يحاول أن يصنع زمانه و يكيف المحيط حوله بحسب المبادئ التي تغمره، و المشاعر الوافدة عليه في سجنه، مسافرا بها من مبنى الكون إلى معناه نفوذا إلى صميم النفس، و بفضل هذا السفر الوجداني و الفكري، استطاعت نفس الشاعر التحرر من التناهي المتمثل في السجن – كصورة للانتهاء و الموت – لتسعى وراء اللامتناهي عبر الذاكرة و الحلم و الخيال، و يأتي له هذا الانعتاق بممارسة الشعر خاصة و الأدب عموما.

إن الحرمان الذي عاشه في الواقع غذى خياله الشعري و أذكاه، و لم يتأت له هذا الخيال، إلا بإحالة الحياة الخارجية إلى واقع لامنتاهي، و ذلك حين استطاع "أن يستقى من أعماق كنوز أحاسيسه موضوعا لتجربته، فاستطاع أن يخلق من الآمال و الأمنيات عالما خاصا به[٥٤]."

و حينئذ يكون قد عوض عما حرمته منه الحياة. فهذا الشاعر المعتمد بن عباد نظم الشعر و هو في طريقه إلى المنفى، لأنه بذلك انعتق من المتناهي المتمثل في مرارة سجنه متجاوزا زمن الحاشر، متساميا عن هذا الواقع بشعره "فذكر شعراء طنجة الذي ألحوا في سؤاله، و عاتب الحصري على أنه لم يجب عن شعره، و

[53] الزمان الوجودي: 174
[54] في النقد الأدبي، شوقي ضيف :146

أجاب الشعراء منهم ابن حمديس و ابن اللبانة كما نظموا له من أبيات و يودع السجناء من أهل فاس حين أطلقوا من السجن[٥٥]."

و لعل انعكاس فكرة السجن في نفسية الشاعر تظهر في ولادته الثانية من خلال الذكريات التي تنشط في الصمت، حتى يبلغ فيه الأفق للحظات – و هو مستغرق في الخيال الشعري – إلى الخواطر اللذيذة، إلى الراحة العميقة بعيدا عن سجن اليقظة، و واقع العالم الخارجي "باعتبار أن حالات السيلان المستمر أكثر ما تكون حيوية في الأحلام، و التخيلات، أي في أكثر الخبرات الممكنة ذاتية[٥٦] "

و هذا حال الشاعر ابن زيدون و هو يستحضر تلك اللحظات السعيدة مع ولادة ليكسر بها زمن الحاضر، حين يتجاوزه، و زمن الماضي حين يعيشه ثانية في نشوة و غبطة، غير شاعر بمرارة السجن و نشعر بهذه الحالة عنده في قوله[٥٧] :

أما و ألحاظ مراض صحاح *** تصبي و أعطاف نشاوى صواح

لبائن بالحسن، في خده *** ورد و أثناء ثناياه راح

لم أنس إذا باتت يدي ليلة *** وشاحه اللاصق دون الوشاح

ألممت بالألطف منه، و لم *** أجنح إلى ما فيه بعض الجناح

يظهر الشاعر بأن السجن لم ينل منه كلية مادام لد ذكرياته الجميلة التي تؤانسه في وحدته المظلمة حيث يقسم بالعيون المثيرة للصبوة و القد المتمايل من الدلال كأنها سكرى، أنه لم ينس تمتعه و لو كان يسيرا بمحاسن حبيبته الفتانة و تعففه عن الآثام.

---

[55] الذخيرة : ص: ٦٢-٦٤

[56] الزمن في الأدب: ص ٢٩

[57] ديوان ابن زيدون و رسائله: 247

فلولا تعاطي الشاعر هذه الذاكرة "لما تحرك الزمن في شعوره و لما أعيدت بناء الذات بنوع من التركيب الداخلي الذي يعكس استمرارا و ديمومة في مجرى الوعي الخيالي، و هي حالة شعورية يعيش فيها حضورا مستمرا ليس فيه انتقال إلى المستقبل أو صدور عن ماض[٥٨]."

فالسجن طابعه التوتر، و فيه يبلغ شعور السجين بالوجود قمته "و ذلك باعتبار أن التوتر هو التركيب الأصلي للوجود، و هذا يخول لذات الشاعر أن تكون على اتصال بالينبوع الحي للوجود[٥٩]."

إن انفعال الشاعر انفعالا فنيا، ملأ وجوده الزمني و أحياه بتخيل أحداث تفاعلت في صيرورة وجدت تعبيرها الكامل في شعره. و عليه فإن شعره لم يصور فقط شخصيته، و إنما صور أيضا رؤيته لشخصيته في السجن و مصيرها، و هو موقف بدلا من هذه الشخصية في بعض ملامحها، حين فجر التوقع المنبعث تارة من القلق و الخوف، و من الأمل و الرجاء تارة أخرى سيلانا زمنيا باعتبار أن الامتداد الزمني الدائم عبر الحاضر يشتمل على عناصر من التوقع على حد قول جيمس[٦٠]

فإن السيلان الزمني قد شكل في نفسية الشاعر السجين امتدادا و امتلاء قويين في الحاضر، نقل إلى الشاعر – بفعل الاستحضار – بعض الحوادث من الماضي الما قبل.

و بعد هذه النظرة السريعة التي طافت بنا على أثر الزمن في نفس الشاعر السجين، يتضح لنا أن الشاعر كان رجلا يحاول أن يصنع فرديته الزمنية في موقف حاول فيه أن يعانق "فكرة منتزعة من الواقع المكاني و الزماني – الما قبل – إلى فكرة بلا واقع و لا زمان ثابتين هما الخيال و الذاكرة[٦١]."

---

58 الزمان في الوجودي: ٧٣

59 م.ن: ١٧٨

60 الزمن في الأدب: 23

61 الزمن في الأدب :٢٣

و من ثم يكون قد عاش حالة سيلان لا تتجزأ، تأتت له بممارسة الخيال الشعري، و هذا الأخير لم يتأت له إلا حين تضمن عالمه الداخلي كثافة في الشعور، حين تتدافع عليه نفس للأحلام و نفس الذكريات و التأملات فينتقل الشاعر "من علاقاته الوقتية الزائلة إلى عالم مشاعره الخاص، الذي يعيش فيه، يضفي عليه من العلاقات الشعورية ما يحفظه و يبقيه [٦٢] ".و عليه فإن التكثيف المفجر في ذاته – في أغلب الأحيان – الأمل في الانعتاق من السجن و اعتقال، لم ينتج إلا عن تلاشي القيود الزمنية.

و هكذا فإن الشاعر السجين لم يع الزمن إلا في إطار مأساة الانتظار و الحيرة و الأمل بإمكانية خروجه من السجن و الانعتاق منه.

و كتحصيل حاصل لنا أن نقول أن اللجوء إلى الذاكرة و الحلم و الخيال و حب الشعر و نظمه، كل ذلك كان حماية بالنسبة للشعراء السجناء من الانهيار و التوتر فلولاه لما تمكنوا من تحمل قضاء السنوات الطوال في غياهب السّجون .

[62] في نقد الأدبي: ١٤٧

المبحث الثاني: خصائص الأسلوبية في شعر ابن زيدون

المحور الأول: الصورة الشعرية

المحور الثاني: الموسيقى

المحور الثالث: السرقات الشعرية

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية في شعر ابن زيدون

المحور الأول: الصورة الشعرية

إن الحكم على أن شعر السّجون في الأندلس اتسم في الغالب بضعف المستوى الفني، نتيجة التركيز على المضمون و المحتوى الفكري، لا يعني إطلاقا خلو هذا الشعر من النصوص الجميلة التي تزخر باللغة الأنيقة و البيان الناصع. بل كان مقصود بذلك خلو شعر السّجون من الصورة التي تتحول فيه بالإيحاء القوي إلى رؤيا. إذ لم تكن الصورة في شعر السّجون الأندلسي تتولد في نفس الشاعر "عبر الخيال المتمرد الذي يفجر الانفعال و العقل و يصهرهما، فتغدو و إنما كانت في الغالب صورة تشبيهية و كأن لها أشكال حسية ترى بها[٦٣]" ، تقريرية "ذلك لأن الأديب العظيم هو المواكل بخلق نماذج التعبير، و هيئات التركيب التي تتقاضاها هذه المشاعر و الأحاسيس"[٦٤].

لقد اختلف الشعراء السجناء في توظيف الصورة الشعرية من حيث القوة و المهارة في التصوير، لكنهم اتفقوا من حيث نوعها، فكانت في معظمها عبارة عن تشبيهات و استعارات و مجاز، ذلك لأن شعر السّجون غنائي تشيع فيه المجازات، و ما يتصل بها من الصورة البيانية، لأنها هي التي تلائم ثورة العاطفة و حدة الوجدان، فتخرج الكلمات بها ملتهبة حادة بفضل ما في المجاز و الاستعارة من تركيز، و إيجاز، و تبلور يعطي التعبير قوة، "ذلك لأن صور البيان قد يداخل ألفاظها هي الأخرى تقديم أو تأخير و حذف و إثبات و ما شبه ذلك من علم غنائي. و من هنا كان تركيزا على الصورة الشعرية التي فيها تأثير الصورة البيانية و ترتيب الأسلوب".[٦٥]

[63] في النقد و الأدب، إيليا الحاوي،ج5: 83
[64] النقد و الدراسة الأدبية، حليمي مرزوق:177
[65] م.ن: 121-122

و من بين تلك القصائد التي أخذت من علم البيان حيزا واسعا، قصيدة ابن زيدون التي أنجزها في مرحلة متأخرة من أيام سجنه الكاتب أبي حفص بن برد الأصغر، و التي يشكو فيها الزمان و يعاقب أصدقاءه القدماء الذين تخلوا عنه و التي منها قوله[٦٦]:

و رأوني سامريا *** يتقي منه المساس

أ ذؤب هامت بلحمي *** فانتهاش و انتماس

كلهم يسأل عن حا *** لي للذئب اعتساس

إن قسا الدهر فللما *** ء من الصخر انبحاس

إن أكن أصبحت محبو *** سا فللغيث احتباس

يلبد الورد السينتي *** و له بعد افتراس

فالشاعر اعتمد في التشبيه على "توظيف تاريخي تمثل في الإشارة إلى ذلك السامري الذي عوقب بأن ما إن مس أحدا و ما مسه أحد إلا أصيب، فاتقاه الناس. و انتقى لفظه – هامت – لما توحي إليه من هوس أصاب الناس الذين عاصروا السامري إذ ألحقت بهم علاقاتهم به الضرر و السوء، و قد اتقى لفظتي – الانتهاش و الانتهاس – للدلالة على أن الطعن في شخصه كان على درجات، و قد أتى بتشبيه تمثيلي حين مثلهم بالذئب الذي يعتس فريسته، و هو في الواقع يمهد لافتراسها [٦٧]"

و لقد أورد هذا النوع من التشبيه لأنه يقوم مقام "الحجة و البرهان على قضيته للتأثير و ثم يعود إلى الدهر، فيتساءل متعجبا من شدة قسوته عليه التي هي أشد من قسوة الإقناع"[٦٨]. الصخر على الماء، مدركا أن أمد

---

66 ديوان ابن زيدون و رسائله: 175-176

67 الأدب الأندلسي ، التطور و التجديد، محمد عبدالمنعم خفاجي: 160

68 النقد و الدراسة الأدبية: 95

سجنه سيطول، فيعلل نفسه بالتجلد الشامخ مادام أن السجن للكرام، و قد عبر عن ذلك في تشبيه ضمني بقوله : "إن الغيث يحتبس فيكثر دعاء الناس من أجل نزوله كذلك فإن الناس في خارج السجن هم في حاجة إليه، و هنا يشير عبر الكناية إلى منصبه الذي خسره. و على صورة التشبيه الضمني دائما يشبه نفسه بالأسد بقوله : لا يغرنك أن و قد كرر الشاعر مثل هذه الصور البيانية في الأسد رابض، فإن له يوما قوة و افتراسا.[٦٩]"

إذ "شبه المقادير و هي تتسلح بحذر الإنسان و تصيبه بها، بالأقواس التي ترسل السهام فتصيب صيدها، و هو تشبيه ضمني يفهم من سياقه العام أن الحذر قد يكون وسيلة للوقوع في و تكثر الصور البيانية في المشكلات إذ لم يسلم المرء دائما من الوقع في مغبة ما تجنبه". [٧٠] شعر ابن زيدون كتلك القصيدة التي بعث بها إلى أبي حزم بن جهور و منها ما جاء في مدحه بقوله [٧١]:

في حضرة غاب صرف الدهر خشيته *** عنها و نام القطا فيها فلم يثر

ممتع بالربيع الطلق نازلها *** يلهيه عن طيب آصال ندى بكر

ما إن يزال يبث النبت في جلد *** مذ ساسها و يفيض الماء في حجر

فعلى سبيل الاستعارة المكنية شبه الشاعر الدهر بالإنسان، الذي خشي الأمير فلم يلق بويلاته على قومه، و لم تمسهم، فناموا مطمئنين في حمايته

كما عبر عن طريق الكناية عن الأمن و الاستقرار بتنعم القطا بالأمن في ظل هذا الأمير، إذ لم يثر من مكامنه. و عبر سلسلة من الكنايات صور تمتع قومه بالرفاهية و النعيم تحت ظلال الأمير، فكأن أيامها كلها ربيع، يسعدون فيها بنسائم الأصيل و تصل الكناية ذروة المبالغة في تصوير الشاعر لمدى عظمة و

---

[69] الأدب الأندلسي التطور و التجديد: 160

[70] م.ن: 158

[71] ديوان ابن زيدون و رسائله:257

إنسانية أميره، إذ يراه مازال يجهد نفسه في إسعاد قومه حتى أنبت الزرع في الجلد، و فجر الماء من الحجر.

و يظهر لنا التشبيه الضمني أيضا في قوله [٧٢]:

و اشفع فالشافع نعمى بما *** سناه من عقد وثيق النواح

إن سحاب الأفق منها الحيا *** و الحمد في تأليفها للرياح

و يرجو الشاعر من الأمير أن يتوسط في الصلح بينه و بين خصومه الذين "لفقوا له تهمة و يعرب عن عودة الفضل في ذلك اغتصاب عقار، و استصدروا حكما من القاضي بسجنه"[٧٣]، له إذا ما ترتب على الصلح خلاصه من محنته. مشبها فضل الأمير في تفريج كربته بالرياح التي تعد صاحبة الفضل في تكوين السحاب المنتج للخصب و النماء، و هو تشبيه ضمني يدركه المتلقي من خلال السياق العام.

و الملاحظ على شعر ابن زيدون أن السجن لم يمنعه من تفجير موهبة و هو مضطر إلى و أكثر تعبيرا عن قضيته ذلك "لا بمجرد الصنعة، و إنما من أجل أن تزيد المعاني وضوحا"[٧٤] التي من أجلها نظم تلك القصائد في السجن، و بعث بها إلى الأمير مستعطفا.

و بما أن القصيدة غنائية، تقوم على العواطف الحارة المشبوبة، فقد شاعت فيها الصور التشبيهية أو الاستعارات مما ينم عن وجود خيال واسع عند الشاعر.

و تبدو الصورة في هذه المقطوعة "تشكيلات مستمدة من اشتراك أكثر من حاسة في تكوينها و هذا ما يعرف بالصورة المتكاملة[٧٥] Image Unified و نفهم – بهذا النوع من صور شعر السّجون – أن الشاعر كان يلتقط بعض الصور و يختارها بحسده و انفعاله مما يبين انحلال الخيال في الانفعال و العقل جميعا، و

---

72 ديوان ابن زيدون و رسائله: 257

73 م.ن: 4

74 الأدب الأندلسي التطور و التجديد:165

75 الصورة في الشعر العربي، علي البطل: 28

أداء لهما الصور النفسية و الحسية، حينا ينقل من العالم الخارجي و يقع تحت وطأته، و حينا آخر من العالم الداخلي، فتستحيل الصورة إلى "رؤى و التي يكون بها مجال التصوير و مجال الإبداع"[٧٦] .

فلإبن زيدون أيضا مسحة من الرومانسية تطغى على جل شعره و تتجلى بصورة خاصة في عشق الطبيعة و الاسترسال في التعبير من خلالها عن الوجدان و خلجات النفس و منها ما ظهر في قول [٧٧] :

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي ؟ *** و يطلب ثأري البرق منصلت النصل ؟

وهلا أقمت انجم الليل مأتما *** لتندب في الآفاق ما ضاع من تتلي

حمائم شكوى صبحنك هواد لا *** تناديك من أفنان آدابي الهدل

لقد تمثلت له الطبيعة في مختلف صورها متحركة و متجاوبة مع شجنه، و هو يستمد منها مادته التعبيرية، و أجمل ما في هذه الصور أنها تمتزج بالصور البيانية في انسجام و تناسق جميل، كحال الشاعر هنا في البيت الأخير، و هو يرى شعره قد ضج بالشكوى إلى الأمير نادبا كما تندب الحمام متطلعا إلى ما أحرزته آدابه من مروءة و سماح.

لقد جسد همومه و أحزانه في سورة محسوسة عبر سرب القطا، و نوح الحمامة، و لم يخترها و هي مظاهر خارجية على أنها غاية في نفسها، و إنما على أنها "صورة مادية لمعان انطباعات في روح الشاعر" [٧٨] و للتدليل من خلالها على الهواجس الداخلية.

إلا أن الشاعر السجين لم يحفل بها إلى حد الزخرفة اللفظية، و ما جاء منها إنما جاء عفوا اقتضاه سياق الكلام. لم يخرج الشاعر السجين من توظيفه الصناعات اللفظية، و ضروب المحسنات إلى طريق وعرة، و لم يتغال في ألوان البديع تغاليا معيبا، و إننا إذا تمحصنا شعره في فنونه المتنوعة نجده ضمنه الصناعة البديعية توضيحا للمعنى، و خدمة للفكرة إذ كان يعتمد في أسلوبه على التعبير عن أفكاره بصورة مباشرة بسيطة

---

76 اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، عبد المطلب مصطفى: 183

77 ديوان ابن زيدون و رسائله: 261-262 و 267

78 اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجريين: 183

و بأفكار يميل بها إلى الصنعة البلاغية و هو بذلك يبرز المعنى و يوضحه و يجمل نصه بما يحدث في أذن الملتقي رنة موسيقية مشوقة. و باعتبار "الألفاظ هي الوسيلة التي ينقل بها الشاعر تجربته كما كان ينقل أفكاره الشعورية، فلقد كان ينتقي منها الملائمة مع الجو النفسي الذي يعيش فيه"[٧٩] بمعان قريبة، و عبارات واضحة، و ألفاظ فصيحة "تختص بكونها غير خارجة عن الاستعمال لعام في معناها، و بناءها، و إعرابها، و تصريفها، مألوفة، ليس فيها الغريب، سهلة المأخذ، رقيقة، محببة إلى النفس في معظمها اختارها الشاعر لكي تكون مناسبة في الدلالة على المعنى و لها وقعا في الأذن وقعا تأثيرا في النفس"[٨٠]

و يظهر لنا ذلك في قول الشاعر ابن زيدون[٨١]:

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر *** إلا ذكريات ذكر العين بالأثر

و لا استطالت دماء الليل من أسف *** أن لا على ليلة سارت مع القمر

في نشوة من سنات الوصل موهمة *** أن لا مسافة بين الوهن و السحر

يا ليت ذاك السواد الجون متصل *** قد استعار سواد القلب و البصر

توظيف القصر في شعر السّجون أسلوب يضاعف المعنى من خلال إثباته و تأكيده، و يبدو أن انشغال الشاعر السجين بهمومه، و معاناته، كان سببا في اعتماد أسلوب القصر الذي يجعل فكرته الموجهة إلى الأمير أو الوزير أوجز و أبلغ، تمكن الكلام في نفسه. و قد ألم الشعراء السجناء بمعظم أدوات القصر، اعتمد ابن زيدون على القصر في بعض قصائده، كتلك التي نظمها في ولادة متغزلا إذ جاء منها قوله[٨٢] :

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر *** لا ذكرتك ذكر العين بالأثر

---

79 اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرين:82

80 م.ن: 86

81 الذخيرة ، ق.1 م.1 : 565

82 ديوان ابن زيدون: 106

و لعل مثل هذه الأساليب التي لجأ إليها الشاعر السجين تعكس بعمق ما في نفسيته من طغيان ألم السجن على نفسه، فتضمين شعره مثل هذا التخصيص و القصر من شأنه إظهار ما احتبس من معان في قاع نفسه و فكره، و هو نوع من التأكيد بشدة على المعنى و إبرازه. هذا ما يوضح لديك لجوءه إلى توظيف مكثف من جمل النفي، الذي يسعى من خلالها تقرير حقيقة، و كل ذلك ينم عن تصميم شديد في الدفاع عن قضيته.

إن هذا التنوع في الأسلوب ينم من جهة عن تلون الأحاسيس في نفس الشاعر السجين، و اختلاف الموضوعات الجزئية المطروحة، و من جهة ثانية يجلب السامع كلامه و يجعله يتعاطف معه، بل يجره إلى ذلك و يقيم معه شيئا قليلا من المحاورة، و هي أساليب أضفت على النصوص حيوية و حسا فنيا من شأنهما "التأثير في ملتقي و تشويقه, و تمتعه وجدانيا و فنيا "[٨٣].

و إننا لنستطيع أن نقرأ الكثير المستفيض من شعر السّجون الأندلسي، دون أن نستعين بمعجم يوضح خفيه، و يظهر غامضه لسلامته من ذلك، و بعده عنه، و لعل في جل – ما أثبتناه فيما تقدم – شواهد على ذلك. و لنا أن نقول من خلال ما سبق أن الصورة الفنية في شعر السّجون الأندلسي عكست لنا بوضوح شاعر النواح على الزمن، و على ما فات من الأشياء التي لها علاقة عميقة بوجوده الذاتي، إلا أنها صور أظهرته يقف موقف الاعتدال، فلم يدرك قاع الفاجعة، و لم يدخل معها في عراك دام، إذ كان في حالة ضعف عام من جميع النواحي. و لقد أدى به موقفه النفسي إلى موقف فني شبيه به، فتجربته ليست التجربة العنيدة المستميتة التي تحمل الخلق، و الإبداع، و خياله ليس الخيال الواسع الذي "نشعر فيه بالقوة التأليفية التي تقدم لنا عملا أدبيا رائعا"[٨٤]، فتجربته الفنية كانت تتحول إلى عواطف يلتقطها بأيسر السبل، و بالرغم من أنها كانت

[83] اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين: 82
[84] اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين:182

عواطف جد قوية و عميقة، كما كان يقتصر في الجانب الفني على أدنى ما تتلقفه من تلك العواطف، و تعرضه للقارئ في صور فنية بسيطة في معظمها، و باهتة في بعضها، و مبدعة في قليلها.

المحور الثاني: الموسيقى

أما من حيث الموسيقى الشعرية، فشعر السّجون أغلبه تقليدي خليلي، و قليل منه ينتمي إلى نظام الموشحة. و لا شك أن الصورة تختلف بين النوعين من الشعر فالشكل الخليلي ذو الهندسة الصارمة قد لا يسمح للصور بالتشكيل كما يريدها الشاعر، أو كما يتطلبها الوجدان و الشعور نتيجة ضغط الوزن و القافية، و تحكمها في النظم و اختيار الألفاظ و تقصير الجمل أو إطالتها، هذا ما يفسر لجوء بعض الشعراء إلى الموشح، ذلك لأنه يمتلك حرية ما في تشكيل الصورة كما يشاء، و لكن مع ذلك فهذا الحكم نسبي عام، لأن لشاعرية الشاعر، و عبقريته، و قدرته الإبداعية دخلا كبيرا في ذلك، فقد يستطيع شاعر مقتدر تصوير تجربة

ما بصورة موحية مبدعة في الشكل الخليلي الكلاسيكي، بينما قد يعجز عن ذلك شاعر آخر في القصيدة الحديثة. إن أهم ما يميز شعر السّجون الأندلسي أنه يعبر عن معان فقط، بل يعبر أيضا عن أصوات، فالقصيدة لا يهم فيها المعاني وحدها، و إنما يهم موسيقاها، و ألفاظها و طريقة الشاعر في تشكيل مادتها الحسية و الصوتية، فكل ذلك يحاول به الشاعر أن ينقل إلينا عواطفه و مشاعره نقلا مثيرا "عن طريق النغم و الألحان و الألفاظ التي تحتوي على الطباق و المقابلة، إذ تتمثل فيها عناصر كما أن "للتصريع و الجناس دور في عملية التنغيم على اللفظة، إضافة إلى الإيقاع المعنوي"[٨٥] اعتماد التكرار و جوانب تركيب اللفظة الواحدة".[٨٦]

كل هذه لا تؤدي معاني ذهنية فقط، بل تؤدي أيضا "معاني صوتية، باعتبار ما يعرض للحروف في أنفسها من الجهر و الهمس و الشدة و الرخاء و اللين و الإطباق و الانفتاح و الانخفاظ و الاستعلاء، و هذا وفق ما أشار إليه الناقد العلوي في كتابه الطراز".[٨٧]

و هي معان يقاس بعضها بمقاييس علمي العروض و القوافي، و بعضها يستعصي على هذه المقاييس لأنه أخف و أرق من أن تقاس، و نقصد الإيقاعات الصوتية الداخلية التي تجعل بيتين من الشعر من وزن واحد مختلفين اختلافا واضحا في عدد التفعيلة و في جمال الموسيقى التي تؤديها كل منهما.

فمن حيث طبيعة الموسيقى التي ميزت شعر السّجون في الأندلس، فإنها في معظمها موسيقى خليلية، فالشعراء الأندلسيون نظموا معظم شعرهم و هم في السجن على بحور الشعر العربي المعروف، على تفاوت فيما بينها إلا أن بحر الطويل كان أكثرها استعمالا.

---

[85] اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين: 157

[86] م.ن: 157

[87] اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين: ٨٥

و ما ميز شعر السّجون الأندلسي ليس هذه البحور التقليدية، و إنما الموسيقى الخفية التي تمثلت فيها بعمق و شدة تجربة الشاعر الشعرية. و في اعتقادنا هي أدق من الموسيقى الخارجية، "فالشعر يحسن موقعه من النفس من حيث اختيار مواد اللفظ و تركيبه المتلائم، مع المعاني المحتاج إليها"[٨٨].

فأساس موسيقى شعر السّجون الأندلسي ينبعث من التألف بين الحروف في اللفظة و محاسن تناسق الحروف باعتبار مخارجها، و الألفاظ في البيت الواحد و الأبيات في المقطوعة كلها، و مثل هذا التآلف لا يستدل عليه بالدلائل بل إن القارئ يشعر به و بتقبله بحسده، و إذا ما سعينا إلى الاستدلال عليه، وقعنا من ذلك بآفة الافتعال إذا استدل على ما لا دليل عليه إلا بالذوق و المعاناة"[٨٩].

فمن بين الصور المؤثرة و الراقية لأنغام شعر السّجون الأندلسي، صورة قصيدة ابن زيدون فتجد له من بحر الطويل قصائد كثيرة منها :[٩٠]

لعمر الليالي إن يكن طال نزعها *** لقد قرطست بالنبل في موضع النبل

مختارا في ذلك قافية – اللام – لما توحي من معاني امتداد الأسى، و اللوعة، و استطالة درب المصير المجهول في السجن، و يقوي هذا الشعور في ذاتنا توالي – اللام – في البيت كله، و ما في الإيقاع المتكرر من إشعار بالألم المتلاحق من جهة، و هذه المماطلة في تحقيق أمنيته من جهة ثانية، أما في القصيدة التي كتبها إلى أبي حفص و التي مطلعها:[٩١]

ما على ظني باس *** يجرح الدهر و ياسو

---

[88] م.ن:٩٨–٩٩

[89] م.ن:٨٥

[90] ديوان ابن زيدون و رسائله: ٢٦٢–٢٦٣

[91] م.ن: ٢٧٣

فقد اعتمد قافية – السين – المضمونة بالتلاشين و التبعثر، و السكون سكون العدم و الموت الذي ينتظره. و يتعمق هذا الإحساس من خلال الإيقاع للفظة يأسو "فالسين المضمونة بالمد يوحي – بحق – بادلهمام الرؤية، لأنه في حالة التلاشي الذي يعقبه يكون الضياع و الانتهاء و له من بحر البسيط فجسد في صوت – السين – هاجس الغم يغلي في أعماقه فيضوي نفسه"[٩٢]. و له من بحر الوسيط قوله :[٩٣]

إن طال في السجن إبداعي فلا عجب *** قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
و أن يثبط أبا الحزم الرضى قدر *** عن كشف ضري فلا عتب على القد

أما فيما يخص اعتماد الشعراء على بحور شعرية خليلية معينة كالطويل و البسيط و الكامل.... فمفداه أن أوزانه تنسجم من تنوع الموضوعات التي نجدها في شعر السّجون . فالقصيدة الواحدة قد تنوعت إلى أكثر من ثلاثة مواضيع، إذ نجد فيها وصف المعاناة الشخصية، و المدح و الاستعطاف و الحنين، كما هو الحال في جل قصائد ابن زيدون و المعتمد بن عباد و ابن مسعود و ابن عمار. لذا لم نجد في توظيف هذه البحور العروضية مميزة تميز شعر أصحابها، خاصة و أنهم لم يضيفوا شيئا إليها، و لم يدخلوا عليها أي ضرب من الغنى و الثراء. لقد اعتمدوها للتعبير عن تجربة شعرية، فقالوا على أوزانها شعرا دون أن يحددوا لنفسهم بحرا معينا دون آخر، إذا انساقوا لحالة نفسية معينة، جعلتهم بطريقة غير مباشرة ينظمون شعرا على أوزان، و تفعيلات معينة، تتناسب مع أفكارهم و مشاعرهم بعفوية[٩٤] .

و باعتبار السجن – كمكان – بيئة جديدة تجسد لنا ظاهرة التكرار، فإنه يعكس موسيقى ذات نغمة واحدة متكررة، موسيقى عابسة قاسية و رهيبة و عظيمة، فلا عجب أن نجد السجين قد استولى عليه نوع من انقباض النفس أو الكآبة أو الوجد. و لا عجب أن يتغنى شعراؤه بنوع واحد من القول، و نغمة واحدة، لأن

---

92 الأنفعالية و البلاغية في البيان العربي، عصام كمال السيوفي:٧١

93 اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين:٢٥٥

94 شعر السّجون في الأندلس، فوزية براهيمي، (رسالة الماجستير): ٢٢٣

السجن يوقع على نفوسهم صوتا واحدا مما يفسر ما للمكان من تأثير خاص في تلوين الشعراء بلونه، و تلوين نتاجهم الشعري بهذا اللون[٩٥].

أما فيما يخص موسيقى الموشحة، فتجدر الإشارة هنا إلى أن موشحات السّجون قليلة جدا، إذا ما قيست بشعر البحور الخليلية، "ذلك لأن نغم الموشح يقوم أساسا على الخفة، و الرشاقة، و على الأصوات التي تنهمر على سامعها ألحانا راقصة تشيع فيها النشوة من الفرح الموسيقي، حتى و إن كانتا إيقاعاتها تستوعب معاني اللوعة و الأسى، فإن ذلك في إطار الحزن الرومانسي العالم[٩٦]

و في اعتقادنا أن النظام الموسيقى للموشحة لا ينسجم مع طبيعة الحالة الشعورية و الوجدانية التي يعيشها الشاعر في سجنه، بدليل أن الموشحات القليلة التي قيلت في السجن، فقد نظمت لكي تغنى على سمع الأمير، حاملة في مضامينها قضيته مشفوعة باستعطافاته و اعتذرياته، و ذلك كما فعل كل من ابن نزار[٩٧] و الفتى الشاعر خطاب.[٩٨]

أما ابن زيدون فله موشحات قليلة في الشكوى، لذا فقد ارتأينا أن نورد هنا إحدى موشحاته التي نظمها في سجنه، للاستعانة بها على توضيح طبيعة الجانب الموسيقي في موشح السّجون ، و إن كان ابن زيدون لا يعد من الموشحين.

و مما جاء في موشحته التي يتذكر فيها أيامه الماضية و قوله :[٩٩]

– خليلي أن أجزع فقد وضح العذر

---

[95] م.ن:٢٢٣

[96] تأريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين: ٢٢٤

[97] نفح الطيب ، الجزء الخامس : ٢٠

[98] الأدب الأندلسي التطور و التجديد: ٤٩١

[99] البيان المغرب ، ابن العذاري المراكشي ، جزء الأول : ١٦١

– و إن استطع صبرا فمن شيمتي الصبر

– و إن يك رزءا ما أصاب به الدهر

– ففي يومنا أمر و في غده خمر

و كما قول "إنه موشح أقرع[100]* لأن الدور يأتي في مستهله"[101]و هذا الدور يتكون من أربعة أسماط مفردة، أي مكونة من فقرة واحدة قافية واحدة، يليه الدور الثاني و هو قوله[102] :

– أ قرطبة الغراء هل فيك مطمع ؟

– و هل كبد حرى لبينك تنقع ؟

– و هل لياليك الحميدة مرجع ؟

إذا الحسن مرأى فيك و اللهو مسمع ثم يأتي الدور الثالث،

و هكذا حتى ختام الموشحة.

و الملاحظ أن موشحة ابن زيدون لم يتقيد فيها بعدد معين من الأدوار مما يفسر أنه لم ينظمها أصلا ليتغنى أو ينشد، و إنما هي موشحة شعرية ضمنها الشاعر قضيته و اشتياقه إلى ولادة و هو في السجن. و لقد احتوت الموشحة على "وحدات نغمية منسجمة، و رغم وجود اختلاف بين الوحدة و الأخرى في بنائها، إلا أنه انسجم مع الوحدة النغمية البنائية التي لها دور كبير في التأثير في الملتقى و إثارة أحاسيسه و مشاعره[103]

100* كلام منظوم على نحو مخصوص، و هو يتألف في الأكثر من ستة أقفال و خمسة أبيات، و يقال له التام . و في الأقل من خمسة أقفال و خمسة أبيات، فيقال له أقرع

101 الأدب العربي في الأندلس: ٣٤٨ و ٣٥٣

102 الأدب الأندلسي : التطور و التجديد : ٤٩١

103 الأدب العربي في الأندلس: ٣٤٨ و ٣٥٣

و لعل لجوء الشاعر الأندلسي السجين إلى الموشحة مفداه أن حالته النفسية القلقة المضطربة بسبب مصيره المجهول في السجن، جعلته يشعر أن الوزن الخليلي قيد آخر يقيده، فأراد الانعتاق من ذلك، و ممارسة الحرية و لو فنيا، يخفف بها وطأة قيد السجن على نفسه، فاختار الموشحة، و لم يهمه في ذلك – في اعتقادنا – أن يكون من الموشحين، مادام أنه يسعى من خلالها إلى التنفيس و الانعتاق و التحرر عبر الكلمات و الإيقاعات.

لذا فهو في الموشحة لم يجد نسفه مجبورا أمام بحر عروضي معين، قد يعد قيدا لمخزونه العاطفي، إنما حالة نفسية طغت عليه و جعلته بطريقة غير مباشرة يكتب على إيقاع الموشح. و في اعتقادنا أن هذا ينم عن مدى وجود ربط قوي بين الإيقاع، و الحالة النفسية للشاعر السجين، و يتجلى لنا هذا من خلال ما انصبت عليه الموشحة من موضوعات مختلفة استدعت بعضها بعضا كالشكوى من الزمن و الحنين إلى الوطن – قرطبة و إلى الحبيبة – ولادة – و معاتبة الإخوان على الخيانة، و تصوير آلامه النفسية العميقة.

كل هذا التنوع يعمق تجربة ابن زيدون الشعرية، و يضيف إلى ذاك التلاحم و الانسجام الإيقاعي رونقا، و يكون عاملا من عوامل حسنة في العمل الأدبي. "أما الزجل الأندلسي الذي نظم في السجن، فمثله مثل الموشحات من حيث تناوله لموضوعات الشعر التي تناولتها القصيدة التقليدية"[١٠٤]

[104] الأدب العربي في الأندلس:402

المحور الثالث: السرقات الشعرية

تميز شعر السّجون الأندلسي بكثرة السرقات فيه ، فقد كان الشاعر و هو في السجن يفيد من كل ما في ذهنه و ذاكرته منه، و من ذلك أنه كان يبني قصائده أحيانا على مثال قصائد أخرى من الشعر القديم، و الشعر الحديث المواكب له. و من أنواع السرقة التي وقعت في شعر السّجون الأندلسي، السلخ الذي نجد فيه الشاعر السجين يأخذ بعض المعنى، و ربما بعض اللفظ من شعر غيره، و يضمنه شعره، أو هو "نوع من الالتقاط و يسمى التلفيق و الترتيب، و يتمثل في نشر الشاعر المعاني المتقاربة، و استخراج منها معنى مولدا، يكون فيه كالمخترع"[١٠٥]ومثال على ذلك ما جاء في شعر ابن زيدون إذ نجده في قوله[١٠٦]:

سقم لا أعاد منه و في العا *** ئد أنس يفي ببرء السقيم إذ يرى

و ابن زيدون قد استفاد من القرآن الكريم و من بعض معاني العربي و أمثالها المعروفة، إذ نجده قد ضمن شعره مثل العربي القائل[١٠٧]:"من مأمنه يؤتي الحذر" في قوله:

و لقد ينجيك إغفا *** ل و يرديك احتراس

و المحاذير سهام *** و المقادير قياس

[105] اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين:13

[106] الذخيرة، ، ق.1،م.1: 347

[107] الأدب الأندلسي : التطور و التجديد:164

و في قوله[108] :

نلبس الدنيا و لكن *** متعة ذاك اللباس

اقتبس المعنى من الآية الكريمة في قوله تعالي : "و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"

و اقتبس من القرآن الكريم أيضا في قوله[109] :

إن قسا الدهر فللما *** ء من الصخر انبجاس

و هو من قوله تعالى "و أن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار و أن منها لما يشقق فيخرج منها الماء، و إن منها لما يهبط من خشية االله".

و في قوله[110] :

أ ذؤب هامت بلحمي *** فانتهاش و انتهاس

إشارة إلى قوله تعالى "أ يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"

و في قوله[111]:

يا أبا حفص و ماسا *** واك في فهم إياس

108 م.ن: 64 و سورة الحديد الآية 20
109 القرآن الكريم:64 و سورة البقرة الآية 74
110 م.ن: 64 و سورة الحجرات الآية 12
111 الأدب الأندلسي : التطور و التجديد: 164

إشارة إلى إياس بن معاوية عاصر الراشدين و الدولة الأموية مشهورا بالفطانة و الذكاء، و قد تولى قضاء البصرة أيام عمر بن عبد العزيز[١١٢].

و في قوله[١١٣] :

و رأوني سامريا *** يتقي منه المساس

قد اقتبس من القصص القرآني قصة السامري و هو أحد بني إسرائيل الذي أغوى قومه و أضلهم حين ذهب موسى لمناجاة ربه. و لنا أن نقول – بعد هذه المقطوعات الشعرية التي أوردناها – أن شعر السّجون الأندلسي قد عرف حقا شيئا من السرقات الشعرية، لأنها مست "معاني و ألفاظه خاصة، ذات ارتباط وثيق إلا أننا نجد بعض نقاد القرنين السادس و السابع لم يعدوا من بمقام تجربة ذاتية خاصة"[١١٤] .

السرقات ما كان في أخذ المعنى و شيء يسير من اللفظ، و على رأسهم الناقد العلوي صاحب الطراز"[١١٥] .

و عليه لنا أن نقول أن الشاعر السجين قد لجأ إلى مثل هذا الالتقاط الشعري، "من باب مشاركة صاحبه فيه، فأورده بلفظه، و مثل هذه الموارد يراها – ابن أبي الأصبع – من السرقات الحسنة". و مادام

---

112 الأدب الأندلسي التطور و التجديد: 159-164

113 م.ن: ١٦٤

114 اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين :١٢١

115 م.ن: ١٢١–١٢٢

الشاعر صاحب أصالة فنية، فلا عيب إن قلد، يستلهم من أسلافه و يستعين بمن سبقوه من الأدباء و الشعراء في ما لم تصل إليه قريحته الشعرية.

و في اعتقادنا أن ما ورد في شعر السّجون الأندلسي من سرقات شعرية، لم يكن سببه العجز أو عدم القدرة على الإبداع، بل مرجعه أن الشاعر السجين كان محاصرا بزمن ذي أبعاد مجهولة مظلمة، لم يدر إن كان سيمهله كي ينتقي و ينقح و يبدع المعاني من وحي قريحيه الشعرية، ليولد منها ما يفصح بعمق عن هذه المعاناة، لقد كان لا يعي ذاته إلا و القلق يحاصره، فلم يمهله استحضار ما تيسر من ملكة الشعر عنده، بالقدر الذي يمارسها الشاعر الطليق، فهي إن عصت عليه ميلادها، ذهب إلى غيرها جاهزة يأخذها من شعر غيره[١١٦].

[116] اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرتين: ١١٦

النتائج

النتائج:

في نهاية البحث توصلنا إلى بعض النتائج مهمة منهما:

١- أدب السجون ليس بأدب أن يُكتب في الحياة الكريمة و الحرية و السعادة، بل يكتب في ظلمات السجن وألمه وحزنه، مما يجعل النصوص المنتجة مختلفة تماما عن الأدب الذي يكتب في الحياة الإعتيادية بعيداً عن السّجن.

٢- الشاعر السجّين لا يريد بيان ممهاراتهِ الفنية بل يقوم بنقل ألمه من داخل السّجن إلى خارجه، ينقلون الحقيقة نقلاً واقعياً في تصور معبر، فيأتي وصفه وصفاً مباشراً صريحاً و يتصف بقوة الشعور و الأحساس بالواقع.

٣- إيقاعات الألفاظ مادة أساسية في شعر ابن زيدون، يعبر بها عن خلجات نفسه تعبيرا موسيقيا مؤثرا، ان موسيقى الشعر نفسها تعبيرية تنقل الأحوال الوجدانية و الخواطر النفسية للشاعر نقلًا واضحا مؤثرا.

٤- كان ابن زيدون رجلاً ذالطبيعة روحية، وذا مزاج تأملي، وهذا الأمر انعكس على أشعاره، فكان له زمن نفسي خاص به في الأشعار الذي كتبها و هو في دهاليز السجن.

٥- قد امتاز شعر السّجون الأندلسي بسهولة الألفاظ، و سلاستها، و اتساق العبارات و انسجامها، و وضوح المعاني، و دقتها و البعد عن إعمال الفكر و عن تحميل الألفاظ ما لا تطيق، لذلك كان شعرهم في السجن خفيفا على السمع، اتسم في بعضه باللفظة الدقيقة الموحية في تصوير الطاقة العاطفية فيه و إخراجها إلى حيز الواقع.

٦- كان للغزل نصيب وافر في القصائد الشعرية التي عبروا بها عن ضمائرهم و أرسلوا من السجن رسائل و قصائد غزلية إلى أحبائهم و أصدقائهم

٧- شعر ابن زيدون كان يمتاز بالمبالغة و ذلك بهدف التأثير في السامع، و أيضاً يظهر في شعره تأثره بالشعر القديم، على الرغم منه أن عاش في بيئة تختلف عن البيئة التي عاشوا فيها .

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

الكتب:

١- القرآن الكريم

٢- اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجرين ، عبدالمطلب مصطفى ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع،(د.م)،(د.ط)، ١٩٨٤

٣- الأدب الأندلسي التطور و التجديد ، عبدالمنعم الخفاجي ، دار الجيل، بيروت ، ط١، ١٩٩٢

٤- أدب السجون، أحمد بهاء الدين شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٠

٥- الإنفعالية و الإبلاغية في البيان العربي، عصام كمال السيوفي ، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،١٩٨٦

٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ابن عذار المراكشي ، تحقيق ليفي بروفنصال، دار الثقافة ، بيروت، (د.ط)،(د.ت).

٧- تأريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ،إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢

٨- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبدالله الميورقي، دار المصرية للتأليف و النشر ،القاهرة،١٩٦٦

٩- ديوان ابن زيدون و رسائله، شرح و تحقيق علي عبدالعظيم، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، مصر، ١٩٥٩

١٠- ديوان ابن زيدون، د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٤

١١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكاتب، ليبيا- تونس، ١٩٧٨

١٢- الزمان الوجودي، عبدالرحمن بدوي،مكتبة النهضة العربية، مصر، ط٢،(د.ت)

١٣- الزمن في الأدب هانز ميرهوف، ترجمة أسعد زروق، مراجعة العوض الوكيل)، مؤسسة سجل العربي، القاهرة، ١٩٧٢

١٤- الصورة في الشعر العربي، علي البطل، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع،(د.م)، ط٢، ١٩٨١

١٥- عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون ، د.فوزي خضر، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عدنان بلبل الجابر، كويت، (د.ط)، ٢٠٠٤

١٦- في الأدب الأندلسي ،د.جودت الركابي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٨٠.

١٧- في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٧

١٨- في النقد و الأدب، إيليل الحاوي، دار الكتاب اللبناني، (د.م)، ١٩٨٠

١٩- مطمع الأنفس مسرح التناس في ملح أهل الأندلس،الفتح بن محمد القيسي، المحقق، محمد علي شوابكة، دار عمار – مؤسسة الرسالة،(د.م)،ط١، ١٩٨٣

٢٠- المكان في الرواية العربية، الصورة و الدلالة، نشر كلية الآداب، تونس، ط١، ٢٠٠٣

٢١- نفح الطيب في غصن الأندلس الطيب، أحمد بن محمد المقري، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٨

٢٢- النقد و الدراسة الأدبية، حلمي مرزوق، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٨٢

البحوث و الدراسات المنشورة:

١- ملامح الإبداع في الشعر الأندلسي قصيدة ابن زيدون أضحى التنائي بديلا من تدانينا، نموذجا"، أحمد سعيد، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٥ العدد ٩(د.س)

الرسائل و الأطاريح:

١- أدب السّجون عند"أيمن العتوم"من خلال روايتيه:"يسمعون حسيسها " و "يا صاحبي السّجن" ، نوال عبدالدائم، رسالة ماجستير ، مقدمة الى جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية الاداب واللغات، بإشراف أ.د:بوراس سليمان، ٢٠٢٠

٢- ادب السّجون في الأندلس في القرن الحادي العشر الميلادي ، سيد سيار علي شاه، اطروحة دكتوراه ، مقدمة الى جامعة بشاور ، كلية اللغة العربية وآدابها ،بإشراف أ.د.مسرت جمال ،٢٠١٦

٣- بناء القصيدة الغزلية الأندلسية عصر ملوك الطوائف(نونية إبن زيدون نموذجا)، زليخة دقيش، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب و العلوم و الإجتماعية و الإنسانية، بأشراف د.فاتح حمبلي،٢٠١٤.

٤- شعر السّجون في الأندلس، فوزية براهيمي، رسالة الماجستير، مقدمة إلى الجامعة بن يوسف بن خدة، كلية العلوم اللغات و الآداب، بأشراف د. حميدي خميسي، ٢٠٠٥

البحوث و المقالات المنشورة:

١- أدب السّجون التعريف والمميزات، رأفت حمدونة ، https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.html ، ٢٠١٦